النقد والتأليف

الطبيب والمعمل

استعراض نقدى بقلم الاستاذ الدكتور شخاشيري بك

الطبيب بالمستشفى الانكليزى بمصر القديمة بالقاهرة

هذا عنوان لكتاب وضعه صديقى العالم الاديب الدكتور ابو شادى المعروف من قراء العربية عموما ومن قراء المقتطف والهلال والعصور والمجلة الطبية المصرية والاخاء والزهراء ولغة العرب وغيرها خصوصا معرفة جديرة بالاعجاب به والثناء عليه ، فهو يكتب اذن الى أكبر طائفة من قراء العربية فى مصر وسوريا والعراق واميركا وغيرها من الاقطار والامصار ، ويكتب الى هؤلاء جميعاً صوراً منوعة للحياة فى الادب حيناً ، والعلم حيناً آخر نثراً كان أو نظماً ، فهو يجيد الصناعتين ، بليغ فى كليهما ، وله مصنفات عديدة أذكر منها ديوانه «الشفق الباكى» الذى ظهر حديثا فى عالم الادب وكان لظهوره رنة اعجاب واكبار من الادباء والعلماء لضخامة حجمه وما احتواه من القصائد الرائعة والصور المنوعة للحياة ، وكلها تشهد له بذوق سليم وخاطر فياض وعقل حصيف ونفس كريمة . وليس لى أن أصف ذلك الديوان فى هذا المقام ، وانما آمل أن انقل الى القاريء الكريم صورة مصغرة لكتاب (الطبيب والمعمل) الذى قدمه صديقى البحاثة الى اللغة العربية أولا كثروة طائلة تفتخر بوجوده ، أو كحلية ثمينة تزين به جيدها ، وقدمه الى طائفة الاطباء ثانيا كمشكاة تضيء لهم طريق العمل فى ميدان الفن الواسع ، فهم يرحبون بما فيه من ثمار يانعة وخبرة واسعة وآراء سديدة وعلم راسخ . وهذا الكتاب يقع فى تسعمائة صفحة مملوءة كلها مسائل فى الابحاث العلمية التى يقوم بها المعمل لمختلف الحالات ، وهى خدمة جليلة ومجهود علمى كبير الاثر له قيمته الفنية العلمية فى الشرق ، وله قيمته فى التثبت من مختلف الأدواء والاعراض ومضاعفات الادواء واعراضها . نعم انه مجهود علمى كبير الاثر عظيم الفائدة يشكره

عليه الاطباء والمرضى معاً ، لان هؤلاء يشفون به عن طريق الاطباء وقد اضاء للاطباء طريق العمل فى تشخيص الامراض ومداواتها . ومما لاريب فيه أن نجاح الطبيب يتوقف على مقدار صحة تشخيص مايعرض له من مرض، وليس من طبيب الا ويسعى الى النجاح جهده ، سواء أكان ذلك فى تشخيص الامراض والعلل أم فى مداواتها ، فهو يود أن يكون موفقا فيها جميعا . واذا كان هذا حال الطبيب وما تطمح اليه نفسه من الأمانى والرغبات فى خلال قيامه باعماله الفنية فحال المريض الذى يريد الشفاء من أسقامه على جانب عظيم من الخطورة والأهمية أيضاً ، فهو يقصد الاستشفاء من طبيب سمع بشهرته ، وانه مامن مريض ذهب اليه الا وتم له الشفاء مما به على يديه ، فترى ان آماله بهذا الطبيب كبيرة، وان تحقيقها معلق على اتصاله به وعرض نفسه عليه . وأقصى غاية يرمى اليها الطبيب هي ان يحقق أمل كل مريض من الشفاء مما به من مرض ، وهذا لايتم له الا اذا استعان بالمعمل وبحوثه العلمية القائمة على الحقائق التى لايشوبها شك ولا تخمين. نعم لايسع اي طبيب مهما علا قدره واتسعت معارفه أن يعول فى تشخيصه لأقل الامراض شأنا واظهرها أعراضاً على المعاينة الاكلينيكية، وحسب اجتهاده ان يظفر من هذه المعاينة بمظنة تنقلب عند التثبت منها فى المعمل يقينا قاطعا فى نوع المرض الذى اتجه اليه ظنه . أقول حسبه أن يكون له من الأعراض التى يعاينها على المريض والتى يسمعها رأيا فى العلة التى يشكو اليه المريض منها . وله أن يغتبط كل الاغتباط اذا أيد المعمل رأيه وجاءت نتيجة البحث منطبقة على ماذهب اليه هو عند المعاينة ويحضرنى شواهد أخاف اذا عددتها أن يتطرق الملل الى ذهن القارىء لكثرتها ، ولذلك أقتصر على ذكر بعضها : فمرض الدفتريا الذى يعترف له كل طبيب بالبأس والشدة على الاطفال المصابين به لولا معاونة المعمل فى تشخيصه وتحضير المصل لمعالجته لكان فتكه بالارواح جسيما، ولاأدرى كيف يستطيع الطبيب ان يعالج طفلا مصابا بالتهاب اللوزتين من غير أن يستنير طريقه بضوء المعمل و يعتمد على التثبت من تشخيص المرض بواسطته . واليك ماورد فى صفحة ٣٠ من الكتاب عن هذا الداء :

(تؤخذ مسحة من الحلق بقطنة على حامل سلكى فى انبوبة خاصة وترسل الى المعمل حالا لزرعها واعطاء النتيجة فى خلال ٢٤ ساعة أو اقل . وان نفع الفحص الاول

كمرشد لاعطاء المصل العلاجي الذى يجب اعطاؤه على أى حال ولو بجرعة متوسطة اذا عظم الاشتباه) .

وليسمح لى صديقى أن أضيف الى جملته الاخيرة «اذا عظم الاشتباه» كلمة «أوقل» والواقع يبرهن على وجوب الأخذ بهذه النظرية فاذا كان هناك اشتباه ماولو أنه ضئيل فالواجب يقضى بحقن المصاب بجرعة من المصل لاتقل عن ثمانية آلاف وحدة ويحقنه بمثلها اذا أبطأ المعمل فى اظهار النتيجة بعد مضى ١٢ ساعة وظل الاشتباه على حاله من الضآلة أو تضاءل قليلا ، لان التحسن الذى يظهر على أثر الحقنة الاولى برهان على ان الاشتباه فى محله، ومازواله او احداث تغيير فيه الا الحكم على وجوده وتأثير المصل فيه ، ولا ضرر من اعطاء المصل بحال .

وقوله فى صفحة ٣١ عن السيلان « يخدم المعمل الطبيب أجل خدمة فى تشخيص السيلان بالعثور على الجونوكوك فى افراز مجرى المثانة أو الرحم أو فى صديد غدة بارتولين أو فى افراز المهبل عند الاطفال أو فى البول وخدمة المعمل لاتقتصر على فائدة المريض بل على خدمة الصحة العامة ولا سيما فى أحوال الشباب المعتزم الزواج»

وفى صفحة ٣٤ عن السفلس قوله «أما الاكتفاء بامتحان واحد أو العلاج الاعمى بدون التثبت من المرض فلا يليق برجل الطب والعلم فى هذا الزمن كما لا يليق به التسرع فى الحكم الخاطىء على نتائج الفازرمان. وعلى فرض الحصول على نتيجة سلبية لتفاعل فازرمان فليس هذا يعنى دائما شفاء المريض، اذ من الجائز وجود مستعمرات لولبية مقيدة مستترة فى مكان عميق من الجسم لايصل اليه الدواء كما يجب. فاذا تهدم جدار مستعمراتها لسبب من الاسباب انطلقت فى الجسم واحدثت اضطرابات جديدة تؤثر على صحة المصاب وعلى تفاعل فازرمان » . والذى لم افهمه قوله وجود مستعمرات لولبية مقيدة مستترة فى مكان عميق من الجسم لايصل اليه الدواء كما يجب . والمفهوم ان الدواء سائل يعطى بالوريد فيوزع مع الدم على سائر اجزاء الجسم فيصيب المستعمرات اللولبية وكل جزء من الجسم سواسية ، وأى جزء اصابه حيف ولم يصل اليه الدم دب فيه الفساد ومات . فهل يعنى حضرته أن قيود المستعمرات منعت وصول الدم الى داخلها فظل المرض كامنا فيها دون سائر الجسم ولما رفعت هذه القيود و أزيلت العقبات عاد

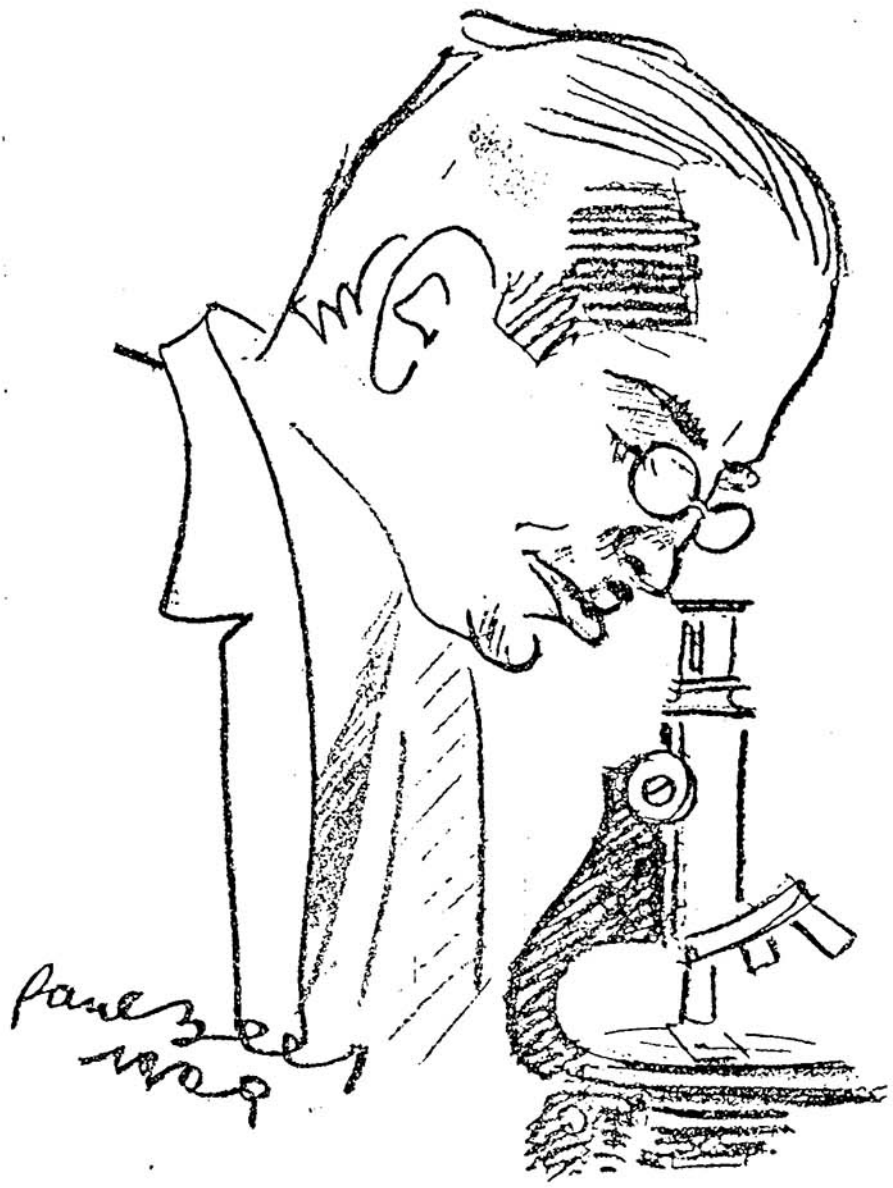

الاستاذ الدكتور أبو شادى

(صورة كاريكاتورية للفنان النمساوى الشهير الأستاذ پاول بير)

المرض الى الجسم أى عاد تفاعل فازرمان ايجابيا بعد ان كان سلبياً ؟ واذا كان هذا هو الواقع ، فكيف تعلل بقاء اللولبيات فى جزء من الجسم حية زمناً طويلا وتفاعل فازرمان سلبى لا يدلنا على اثر لوجودها ؟ واذا قال ان تفاعل فازرمان ليس ناشئا عن وجود اللولبيات فى الدم ، انما منشؤه تغير فى بروتينات الأنسجة من تأثير المرض العام ، ودرجة هذا التغير تختلف باختلاف طبيعة الاشخاص ، وهذا مما يفسر لنا اختلاف درجات التفاعل فى حالات قد تتشابه كلينكياً ، قلنا وما الفائدة اذن من الدواء (نوفارسنوبنزول) المشهور برقم ٦٠٦ ، وما هو تأثيره على المرض بالذات ؟ والذى يظهر لنا انه ان كان لهذا الدواء فائدة فهى انه يوله فى الجسم قوة مضادة للمرض وعلى هذه القوة واستعداد الجسم لتكوينها يتوقف الشفاء . والمعاونة التى يحصل عليها الطبيب من المعمل فى الحميات على اختلاف أنواعها ولاسيما الملاريا والتيفوئدية والراجعة والمالطية وغيرها جليلة القدر فى التشخيص والمعالجة ، وهل من مكابر ينكر على المعمل فضله فى تشخيص الأمراض الجلدية وغير الجلدية ، وفى الالتهابات الرئوية والشوكية والمخية ، وفى الاورام وكل حالة مرضية وهى كثيرة جدا . وفى هذه المناسبة أذكر حالة ورم عنقى حضرت فى ٢ اكتوبر سنة ١٩٢٩ من بلدة صول ، وعند المعاينة اشتبه بها ، فأراد الطبيب المعالج أن يرسل عينة منها الى المعمل للتثبت من صحة التشخيص فطلب المعمل مقابل بحث العينة ثلاثة جنيهات اعتذر المريض عن دفعها لفقره ورفض التوجه الى مستشفى قصر العينى أو مستشفى الملك ، وظل الطبيب متمسكا برأيه وأبى أن يجرى عملية استئصال الورم لاعتقاده أنه ورم خبيث وقفل المريض راجعا الى بلدة (صول) باسوأ حالة ليموت بين أهله . . فى هذه الحالة يلجأ الطبيب الى المعمل يريد معاونته فى تشخيص ورم ظنه من النوع الخبيث فيرفض المعمل أن يقدم هذه المعاونة من غير مقابل جعل حده الأدنى ثلاثة جنيهات وهذا القدر فوق طاقة المريض كما تقدم ، فالى أية جهة يذهب هذا الطبيب وغيره من الاطباء فى مثل هذه الحالة ، وأمثالها ليس بالقليل ؟ وفى هذا الكتاب أو المعمل فصل حافل عنوانه «أهم مباحث المعمل» تجد فيه طائفة كبيرة من الأبحاث العلمية التي لا مفر لطبيب من الالمام بها . ثم اقرأ فصل (العلاج بالفكسين) تدهش لمحتوياته ، وفصل منابت الميكروبات ، وفصل امتحان المياه والالبان ، وفحص الدم ، وفحص محتويات المعدة ، وفحص البول ، وامتحان البراز وامتحان سائل النخاع الشوكى ، وتفاعل فازرمان ،

وتشخيص السيلان ، والتشخيص الخلى ، والسعور ، ومراجعات شتى . كل هذه فصول ملآنة بالفوائد ، مزدحمة بالمعلومات القيمة . من العسير أن نفى هذا المجهود حقه من الشكر عليه بمثل هذه الكلمة ، ويجب أن اذكر لصديقى الشاعر العالم الاديب فى هذا المقام صفة تجلت فى كتابه هذا لم يسبق لكاتب شرقى ان اتصف بها أو جرى عليها من قبل : وهى نشر مقالات فى كتابه لبعض الافاضل من الزملاء ، فانه احسن كثيرا فى اظهار هذه الروح روح المعاونة ، روح العلم فى اوسع معانى العلم ، وأنت تدرك ما لشيوع هذه الروح بيننا من الحسنات والمنافع . وأذكر فى هذه المناسبة أن عرضت فى سنة ١٩١٧ مثل هذه الفكرة على زميل فاضل أحترم معارفه وفضله كان شارعا فى وضع معجم انكليزى عربى طبى ، واقترحت عليه أن يقبل مثل هذه المعاونة من أصحاب الكفايات العلمية والفنية فى انجاز المشروع الذى نهض له ، فاعتذر عن الاخذ بهذا الرأى وبنى عذره على اسباب اهمها انه خطا خطوة واسعة فى المشروع ، وان ما بقى منه لا يحتاج الى معاونة أحد لاتمامه . وفوائد هذه المعاونة الخارجية انها تدعم المشروع وتؤيد القائم به وتكون حلية لها اثرها الطيب فى نفس القارىء . الخلاصة ان هذا الكتاب او المعمل الذى اتحفنا به الدكتور ابو شادى يجب ان يكون فى مكتب كل طبيب يحترم فنه و يريد النجاح فى مداواة المرضى الذين يتمنون الشفاء على يديه ، فقد يدفع بوجوده الصعوبة التى عاناها ذلك المريض والطبيب فى الحصول على معاونة المعمل فى تشخيص عينة واحدة لحالة واحدة ففيه يجد المعاونة التى يريدها و يشعر بحاجته اليها لمئات من العينات والحالات

الدكتور شخاشيرى

(العصور) — نرجو أن يوافينا الدكتور ابو شادى بتعليقاته على ملاحظات الدكتور شخاشيرى بك حتى ننشرها فى العدد الآتى من «العصور» اتماماً للفائدة العلمية ، ونشكر لحضرة الناقد الفاضل مقاله النفيس الممتع .

فاوست

Faust

تأليف الشاعر الالمانى الكبير ، بل الشاعر العالمى غوته Geothe نقلها عن الالمانية محمد عوض محمد الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصريه. ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ٢٠٨ صفحة من القطع الكبير والراجح أن هذا جزء من الرواية لأن اللجنة لم تشر فى الطبع الى عدد الاجزاء التى ستصدر فيها الرواية

***

من المؤلف المعروف «تاريخ الفكر الاوربى فى القرن التاسع عشر» الذى وضعه العلامة جون تيور مرر مرتز، يبحث المؤلف عن نقطة ابتداء يتخذها مبتدأ لتاريخ الفكر الاوربى ، فيتخذ من حوادث القرن التاسع عشر ظهور رواية فاوست الخالدة كحادث يمكن أن يكون نقطة ابتداء يبتدىء بها المؤرخ فى وضع تاريخ الفكر الاوربى فى ذلك العهد الفائض بالوان من المستكشفات العلمية والأدبية والفنية فيقول :

«ولقد نرجع فى النهاية الى ما أنتج أكبر عقل جاد به الشطر الاول من القرن التاسع عشر نستمد منه نقطة ابتداء نرتكز عليها . قد نرجع الى كتاب «فوست» Faust الذى أخرجه نابغة النوابغ جوته . قد نرجع اليه لنتخذه مثالا لاعمق ما جاد به القرن التاسع عشر من صور الفكر ، بما فيها من الشكوك والآمال ، اذ ينتقل بك كاتبه من تيه الفلسفة الموحش الى ميدان العلم الطبيعى الفائض بالنور المحفوف بالايناس والطمأنينة أو يأخذ بيدك الى أقصى أغوار الحياة الأدبية المستورة وراء ظواهر ذا العالم ليقذف بك الى مطمأن المعتقد الدينى والايمان وما فيه من الاسرار الخفية المحيطة بطبيعة الخطيئات ثم الرجوع عنها الى التوبة والاستغفار» :

هذا رأى أكبر مؤرخ فى اشارة بسيطة حاول بها ان يعطيك صورة تحليلية عن رواية فاوست . أما الدكتور طه حسين فيعطيك الصورة الآتيه بعد أن يأتى على ملخص للقصة على الصورة التى ظهرت بها فوق المسارح وعلى لوحات السينما : فيقول:

«هذه خلاصة القصة وهى التى صيغت عليها القصص التمثيلية والغنائية ولكن

جوهرها ليس فى هذا الاطار الذى صورته لك الآن. وإنما هو فيما يحيط به هذا الاطار من دقائق الحوار بين الله والشيطان ثم بين فوست وتلميذه ثم بين فوست والشيطان ثم بين الشيطان والناس . فى هذا الحوار كنوز من النقد والفلسفة والأدب لا سبيل الى تقويمها ولا الى تحليلها ولا الى الاحاطة بها ولكنها كفيلة بان تعطيك من جوته صورة رجل عظيم . . »

ثم يقول

« تجد فى هذه القصة صورة صادقة دقيقة لحياة العالم الاوروبى قبيل الثورة الفرنسوية وابانها أى فى عصر الانتقال الذى وثب باروبا الوثبة الاخيرة من حياة القرون الوسطى الى حياة العصر الحديث ، ويقال أن فوست الثانى ليصور المثل الاعلى الذى يسمو اليه الرجل الفيلسوف وكيف يسمو اليه وكيف يظفر به . وقد تعمدت أن أتى بلفظ الشك هذا لان الذى فهموا فوست الثانى قليلون . وقد أسأل نفسى احيانا هل فهمه جوته (١) ولعل أصدق حكم على هذه القصة التى اقدمها الآن الى القراء حكم مدام دى ستال عليها حين قالت « ان هذه القصة تضطرك الى أن تفكر فى كل شىء ، والى أن تفكر فى أمر آخر فوق كل شىء (٢) »

أما الترجمة فقد أطنب كثير من الكتاب فى انها منقولة رأسا عن الالمانية . وعندى أن هذا ليس بشرط كاف لصحة الترجمة صحة تامة . وان كانت ضمانا على أن تكون الترجمة اقرب الى الاصل . فاذا قارنا مثلا مطلع « الفاتحة فى السماء » كما هى فى العربية بترجمة الدكتور « انستر » وهو المعترف له بأنه احسن من ترجم فوست عن الالمانية باعتراف مستر « لويس » اكبر من ترجم عن الحياة جوته من الانجليز ، وجدنا فروقا بينهما كبيرة

---

(١) هذا كلام كالعجينة المرنة الضعيفة العناصر ، يسهل أن يتشكل فى أى شكل اذا صببته فى أى اناء من آنية الفكر واذا كان الذين فهموا فوست الثانى قليلين فكيف لا يفهمه جوته نفسه . وعندى أن هذه التعبيرات مصبوبة فى هذا الاسلوب من أخطر الاشياء على الادب الناضج .

(٢) لو اقتصر الدكتور على هذه الكلمة فى تقديم فوست لكانت ابلغ من كل صفحاته الطويلة واجلى من التعبير عن حقيقة جوته وفاوست معاً .

جاء فى الفاتحة

« الشمس تغنى كدأبها من الازل ، منافسة فى النشيد اخواتها الاجرام . وتدور فى دورتها التى رسمت لها بخطى كالرعد القاصف » .

واليك النص الانجليزى

The sun, as in the ancient days,
,Mong sister stars in rival song,
His destined path observes, obeys,
And still in thunder rolls along :

ففى النص الانجليزى ان الشمس « تترسم طريقها مطيعة » وليس لهذا وجود فى النص العربى . وكذلك قوله كالرعد القاصف : ففى الترجمة الانجليزية « فى إرعاد » - in thunder - وليس فى الانجليزية اصل للتشبية بالكاف مثلا .

وكذلك اذا عدت الى بقية المقطع الأول فى هذه الفاتحة ، فانك تجد أن النص العربى يجرى على النمط الآتى :

« الا أن منظرها ليبعث القوة ويثير الهمة فى نفوس الملائكة ، وان لم يكن بينهم من يفهم كنهها ويدرك سرها »

« ان هذه البدائع السامية التى يقصر عنها الادراك ، لم تزل ذات روعة وبهاء كما كانت فى يومها الأول » .

واليك النص لانجليزى

New strength and full beautitude
The angels gather from his sight
Mysterious all - yet all is good,
All fair as at the birth of light.

ففى النص الانجليزى تجد أن منظر الشمس بقدر مايثير من قوة ، يبعث من جمال beautitude أو تجميل فى نفس الملائكة . وليس لهذا أثر فى النص العربى . كذلك لاتجد أثرا لمعنى good - خير - ولا لمعنى Fair - جميل ولا لمعنى light - الضوء حين ولادته الاولى - وقد ترجمت فى العربية بنص « اليوم الأول » وكذلك كلمة gather فليس فيها معنى اثارة القوة ، بل فيها معنى « استجماعها » والاستجماع يشير الى القوة من

غير حاجة لذكر القوة كقول الشاعر «مستجمع كالليث» ، وكذلك معنى الجمال beauty فان فى النص الانجليزى ملازم بكلمة sight وليس ادراك الجمال الخارجى الا بالنظر فى منظر مامن مناظر الطبيعة .

واليك القطعة المنسوبة الى جبريل ص ٢ من الترجمة العربية

«وهذه الأرض ذات الجمال الرائع دائبة فى الدوران فى بسرعة يقصر عن تصورها الوهم . . . يتعاقب عليها النور الساطع والظلام الحالك الرهيب

« والبحر اللجى يرغى ويزيد ، ويندفع تياره الى سفح الصخور»

« والبر والبحر كلاهما يدوران دورة الكواكب الابدية السريعة .»

واليك النص الانجليزى

Swift, unimaginably swift,
Soft spins the earth, and glories bright
Of mid-day Eden change and shift,
To shades of deep and spectral night.
The vexed sea foams-waves leap and moan,
And chide the rocks with insult hoarse,
And wave and rock are hurried on,
And suns and stars in endless course.

فليس فى النص الانجليزى « ذات الجمال الرائع » - وليس فى النص العربى اشارة الى جنة « عدن » التى يشبه بها ضياء الارض وعظمتها فى منتصف النهار ، ثم تبدلها بالظلمة اثناء الليل . و فى النص العربى استعمال - ويندفع تياره الى سفح الصخور » - اشارة للبحر - ترجمة لكلمة - waves - والاصح الترجمة الانجليزية لانه ليس للبحر تيار ، بل له امواجه - waves - تعلو وتهبط كالنص الانجليزى تماماً . وتنتهى القطعة بهذه الكلمات - والبر والبحر كلاهما يدوران دورة الكواكب الابدية السريعة » - هذا ترجمة للآتى

And chide the rocks with insult hoarse
And wave and rock are hurried on,
And suns and stars in endless course.

وليس بين النص العربى والترجمة الانجليزية ، الا « اشارات » لا يمكن ان تعتبر ترجمة البتة .

اما نهاية الفاتحة فلا تقل عن فاتحتها ـ جاء فى النص العربى

« ابليس ـ يحلو لى ان ارى المولى القديم من حين الى حين . وسأبقى دائما حذراً كى لايحدث بيننا خصام . »

« ولعمرى انه لجميل جداً من سيد عظيم ان يتحدث الى الشيطان نفسه بمثل هـذا الاسلوب البشرى .

واليك النص الانجليزى :

Meph. (alone) I'am very glad to have it in my power
Tosee him now and then ; he is so civil :
Irather like our good old governor,
Think only of his speaking to the Devil !

والسياق هنا تهكمى فى الاصل اما الترجمة فسياقها تقديرى . ثم خذ قطعة « وسابقى دائما حذراً كى لا يحدث بيننا خصام ـ فهى فى الانجليزية ـ he is so civil ـ واين « الاسلوب البشرى » فى النص الانجليزى ـ واين « لعمرى انه لجميل جداً » ـ واين « نفسه » فى سياق جملة الشيطان ؟ لا تعرف لها اصلا

ثم نعود بعد ذلك الى مستهل الرواية فيقول النص العربى

« اجهدت نفسى فى دراسة الفلسفة والشريعة والطب ، وتعمقت أيضا ويا للحسرة فى دراسة علوم الدين ، بجد لايعتوره فتور وهمة لاتعرف الكلال . ثم أرانى أنا البليد المسكين ـ بعد هذا كله لم أتقدم شبرا ولم أخط نحو العرفان خطوة .

واليك النص الانجليزى

Faust. Alas ! I have explored
Philosophy, and law, and medicine,
And over deep divinty have pored,
Studying with ardent and laborious zeal;
And hear I am at last, a very fool,
With useless learing curst,
No wiser than at first !

فليس فى النص الانجليزى كلمتا «بليد ولا مسكين» ـ ثم لم أتقدم شبرا ولم أخط نحو العرفان خطوة ـ يجب أن تترجم ـ بانى لم أصبح فى يومى باعقل منى فى أمسى . وليس فى النص

العربى اشارة الى learing curst فاين ذهبت بين النص الانجليزى والعربى والالمانى والاصح أن تترجم كالآتى :

«واأسفاه . لقد استعمقت فى درس الفلسفة والشرائع والطب وفى أعماق اللاهوت ترديت ، واثنيت ادرس بشهوة ذوى الشهوة ، وأبحث بعناية ذوى العناية ، وهأنذا لم أفز من نتائج درس وبحثى بطائل ، اللهم الا لعنة اليقين بأنى لت باعقل فى يومى مما كنت فى أمسى» ثم خذ بعد ذلك .

«سميت الاستاذ والدكتور ، وقضيت زهاء عشر سنوات وسط تلاميذى أخادعهم وأغرر بهم وأذهب بهم ذات اليمين وذات الشمال

واليك النص الانجليزى

Magister, Doctor and I lead,
These ten years past, my pupils creed,
Winding by dexterous words with ease,
Their opinions as I please.

فاين المخادعة والتغرير ، واين ذات اليمين وذات الشمال ، أين كلمة اوجه Lead من كلمة اخادع ؟ واين كلمة creed - أى عقيدة ؟ ليس لها فى الترجمة العربية أثر

ولا يفوتنا بهذه المناسبة ان نشير هنا الى الامانه التى اتصفت بها ترجمة العاصفة التى تخرجها المقتطف بقلم الاستاذ ابى شادى . فقد حاولنا مرارا عديدة ان نراجع الاصل بالترجمة فلم نجد فارقا قل أوجل بين المعانى الاصلية والترجمة العربية . وعندى أن هذه الطريقة مع المحافظة على روح الاسلوب العربى الذى يفهمه البعض على أنه استعمال بعض المصطلحات كما وردت على لسان الاعراب كأن يقول مترجم فاوست مثلا «لاناقة لى فيها ولاجمل» منسوبة الى جوته هى أقوم طريقة يمكن أن تتمشى فيه الترجمة مع الاصول المنقول عنها

أما الجهد الذى بذل مترجم فاوست فجدير بكل أعجاب خليق بكل اكبار ولا يسعنا الا أن نستزيد لجنة التأليف من جهودها المبرورة فى سبيل الأدب الجديد.

١ — جمهورية أفلاطون

من تأليف الفيلسوف الالهى أفلاطون اليونانى ترجمها إلى العربية الأستاذ حنا خباز وأشرف على تصحيحها وتنقيحها وكتب مقدمتها الأستاذ فؤاد صروف محرر مجلة المقتطف وقدمت هدية لمشتركى المجلة - فوقعت فى مجلد ضخم عدد صفحاته ٢٨٨ صفحة من القطع الكبير وعلى ورق انجليزى ثمين جيد الطبع

* * *

نأسف كل الأسف إذ نضطر فى التقديم للكلام فى جمهورية أفلاطون ، ذلك الكتاب الخالد النادر المقطوع النظير ، أن نبدأ بالكلام فى الصحافة المصرية وموقفها ازاء الحركتين العلمية والأدبية ؛ ولقد رأينا من تهاون الصحافةازاء بعض المطبوعات الفذة التي تخرجها المطابع وقلة العناية بنقدها ما ملأ القلب أسى وأسفاً ، وأفعم قلوب المؤلفين يأساً وغما . ولا جرم أن موقف الصحافة أزاء أمثال هذه المؤلفات أو المترجمات لموقف يلزمنا إلى التصريح بأن صحافتنا لا تزال فى الدرك الأسفل من الانحطاط والتدنى فى تقدير الجهود التى تبذل والأعمار التى تصرف ونياط القلوب التى تتقطع والأفئدة التى تتفطر والوقت المبذول والتعب المهدور والدم المراق ، فى الوقوف على النقل أو التأليف أو الترجمة السنين الطوال ، ثم لا يكون الجزاء إلا أن يشار اليه ، وذلك أبعد ما يمكن أن تتبسط فيه الصحف من الفضل على المؤلفين ، اشارة سمجة سخيفة فى ذيل عمود من جريدة أو فى الصحف الأخيرة من مجلة ، مشكوراً على اظهار هذا الكتاب أو ذاك ، مع حسن التمنيات فى الرواج

ولعمرك أى شىء يمكن أن يكون أكثر هدماً لحركة الاداب من هذه الخطة السخيفة التى تتبعها الصحف على اختلاف أنواعها وتباين ضروبها ، وأيةوسيلة يمكن أن تتذرع بها الصحف فتكون أنجع فى اخماد الهمم وقتل العزائم ؟

ولا ننسى بجانب هذا أن نوجه اللوم إلى فئة من الكتاب يعتقدون أن النقد

الحر منقصة تنالهم وسيئة تنزل بهم . فان هؤلاء لأكثر نيلا من حركة الآداب من الصحف على اهمالها أمر الأدب وإغفالها شأن التواليف العلمية . على أن المسالة يجب أن تكون على الضد من هذا . فان النقد تقدير لفكرة الكاتب وأسلوبه . أما الاهمال فلا يدل على شيء اللهم إلا على أن الشيء فاقد القيمة معدوم الوزن . ولخير لى أن أنقد بأمر اسلوب من أن أهمل كلية

***

نرجع بعد هذا إلى تقدير هذه الجهود الكبيرة التي تبذلها شيخة المجلات بلانزاع وكبيرة الصحف الأدبية . فقد أخذت مجلة المقتطف الغراء ، وهى عندى احدى المؤسسات العظمى التى قامت عليها الحركة الأدبية فى الشرق العربى كله ، تنشر فئة صالحة من الكتب والمؤلفات القيمة . فنشرت بسائط علم الفلك وكان قد نشر تباعا فيها بقلم الاستاذ الكبير المرحوم الدكتور صروف، ثم أعلام المقتطف وهى تراجم العظماء التي نشرت فيها من قبل ، ثم الرواد وفيه تاريخ الاستكشاف البحرى والبرى ، ثم جمهورية أفلاطون الكتاب الخالد كما سماه أعظم كتاب العصور الوسطي وكما يعتقد كتاب العصر الحديث

ولا جرم أن الجهد الذى بذله الكتاب فى سبيل الاستعلاء بالرأى العام عن مستوى القصص السخيفة والروايات البوليسية التى أخذت تغمر سوق الأدب فى أول سنى السلام بعد انتهاء الحرب العظمي ، قد أثمرت ثمرها وآتت أكلها . فبعد أن كان شبابنا غارقا فى بحار الأدب السوقى المبتذل الذى فاضت به المطابع ودور النشر على الجو المصرى ابتغاء الربح التجارى دون النظر فى سلامة الذوق المصرى من الفساد الذى كان قد دب فيه من كثرة ما غمرت به الدنيا من أكاذيب الحرب وترهات السياسة بضع سنين

فاذا رأينا الشباب يستبدل الادب السوقى بالأدب المنتج الراقى ، وعلى الأخص الآداب القديمة ، فان ذلك ولا شك يقوم دليلا على أن الجو المصرى قد بدأ يقدر الاداب وأن الفكر المصرى أخذ يغير الأساليب القديمة بأساليب جديدة ، وأن مجهود مجلة المقتطف لفى مقدمه الجهود التى بذلت للوصول إلى هذه الغاية العليا

ونعود بعد هذا إلي المقدمة البديعة التى كتبها الاستاذ صروف محرر المقتطف لجمهورية أفلاطون . فان هذه المقدمة وحدها جديرة بالدرس خليقة بالاعتبار ولو لم يصدر بها كتاب الجمهورية . فان الفصل الذى عقده الاستاذ فى تحليل الجمهورية كاف

وحده ليعرفك بصورة واضحة ما هى منزلة جمهورية أفلاطون فى عالم الأدب ومركزها الدائم فى حلقة الآداب الانسانية

وكفى أن ننقل هنا خاتمة هذا التحليل :

« الجمهورية — كما أثبت التاريخ — هى أولى المحاولات التى حاولها عقل بشرى ليخلق دولة مثلى ، توضع فى عالم الفكر والسياسة ، مع البارثنون فى عالم الفن . فالكتاب كله أبلغ مثل على معنى العدالة حسب مذهب أفلاطون - إنه قطعة من الفن منسقة الاجزاء كأنها لحن موسيقى خرج من أيدى أربابه - فمن مقدمتها إلى آخر سطر فيها يتبع الرأى الرأى ويأخذ الدليل السابق بعنق الدليل اللاحق ، وذلك فى رقة واتساق ومنطق وجمال . انك لا تستطيع أن تحذف جزء منها من غير أن تفقدها جانباً من كامل روعتها . لأن أفلاطون يكاد يكون الوحيد بين الفلاسفة الذى جمع بين الفلسفة والفن . وهذا هو سر عظمته الخالدة المتجددة على كر الأيام »

على أننا لا نترك هذه الفرصة تمر دون أن ننبه على أن الأدب المصرى لايزال فاقد السنادة ضعيف الأساس . وعندى أن الأسس التى سوف نبنيها تقوم على الرجوع الى الآداب القديمة وآداب القرون الوسطى . وهذا موضوع سنعود اليه باسهاب فى موطن غير هذا من العصور .

أما المترجم الاستاذ حنا خباز والترجمة فسنعود اليهما فى العدد القادم من العصور بعد أن نفرغ من درس الكتاب درساً خليقاً بمركزه فى عالم الأدب

العاصفة

لوليم شكسبير تنشر تباعاً بمجلة المقتطف مترجمة بقلم الأديب الكبير أحمد زكى أبو شادى محلاة بكثير من الصور البيانية والفنية ، بحرف مشكول مبالغة فى العناية باظهار المعانى وتسهيلا للطلبة الذين يدرسونها

***

إذا قابلت تاريخ الآداب بعضه ببعض وقعت على ظاهرة غريبة . وقعت على شاعرين انجليزيين يقابلهما شاعران أوروبيان ، بحيث يتحد كل شاعر من الشاعرين الانجليزيين بشاعر من الشاعرين الاوروبيين فى المرامى والمقاصد والمشاعر ، بل وفى النسق على وجه التقريب . فملتون يقابله دانتى . وشكسبير يقابله جوته . وعندى

أن التفرغ لهذا البحث والتوافر عليه يمكن أن يخرج بمجموعة من النقد قل أن نعثر عليها فى لغة من لغات الأرض . وأعتقد فوق هذا أن المقابلة بين « الفردوس المفقود » لملتون وبين « المهزلة الالهية » لدانتى ، أسهل متناولا من المقابلة بين روايات شكسبير وبين « فوست » . ذلك لأن الفردوس والمهزلة تتناولان شيئاً من وضع الخيال الانسانى ، يسهل على تصور خصب أن يمتد إلى أغوارهما ويستخلص منهما أغمض معانيهما . فى حين أن أعمال شكسبير وفوست تتناولان طبيعة العنصر الانسانى الذى لا يحتاج إلى خيال لا غير ، بل يحتاج إلى كثير من قوة الملاحظة والحكم وعمق الفكرة وسلامة الاستنتاج والقدرة الاستقرائية الفائقة

إذا عرفنا هذا استطعنا أن نقدر إلى أى حد تذهب الحاجة فى ترجمة شكسبير إلى الاناة والصبر وتعويد الفهم على استخلاص أعمق معنى من أظهر جملة ومن أبسط سياق . فكلمة « لا » أو كلمة « نعم » فى سياق مناقشة لشكسبير قد يكون لها معنى يستخلص من طبيعة المحاورة فيتناول أبعد غور من أغوار الطبيعة البشرية . أو كلمات يكون ظاهرها السخرية والتدلل ، ولا يقصد بها شكسبير إلا التعبير عن أغمض ناحية من نواحى النفس الانسانية . مثالك على ذلك قول كليوباترة لاحدى وصيفاتها « اذهبى فاذا رأيت أنطونيوس فى مجلس شرابه فعرفيه بأنى أبكى ، وإذا رأيته يبكى فعرفيه بأنى أرقص » . فان هذه الكلمات التى ليس فى مظهرها الخارجى شىء سوى السخرية وعنف الانتقام ، تعبر عن حقيقة نفسية بعيدة الغور فى الطبيعة الانسانية . ولا يسهل عليك أن تعبر عنها فى الأدب بكلمات هى أبلغ من سياق شكسبير الساذج البسيط . وعندى أن نشاط شكسبير وتبسطه فى بعض الاحيان من أغمض الاشياء فى شكسبير

هذا لندلك على أن ترجمة شكسبير الى اللغة العربية مجازفة اقدم عليها البعض من الكتاب فاوسعوا شكسبير مسخا وهضما حتى لقد كتبوا من خيالهم روايات نسبوها الى شكسبير وأظهروا على المسارح شخصيات بينهما وبين شخصيات شكسبير من البعد بقدر ما بين الارض السفلى والسماء العليا . وعلى هذه الصورة الممسوخة عرفنا شكسبير صغاراً وكدنا نتأثر بها رجالا ، بل لا نبالغ اذا قلنا ان أكثر أدبائنا قد تأثروا فعلا بهذه الصورة ، فخيل اليهم أن شكسبير كاتب روائى كبقية الكتاب ، لا ميزه له الا

الايجاز الشديد فى بعض المواضع والغموض الفاضح فى التعابير واستعمال لغة كان يعرفها الانجليز من أربعة قرون . وهذا دليل على انهم لم يدركوا من حقيقة شكسبير الا المسخ الظاهر الذى مسخه بعض الكتاب ولم يستعمقوا الى الجوهر الكامن فى فلسفته العليا التى تناولت كل نواحي التجاريب الانسانية ، ان لم يكن فى هذا القول مبالغة بوجه من الوجوه .

وقد اختلف الادباء وان شئت فقل المتأدبين أو طالبى الادب على الطريقة التى يجب أن يترجم بها شكسبير . فقال البعض بضرورة التصرف فى المعنى مع التصرف فى اللفظ . ويتبع هذا بالضرورة التصرف فى الامثال المضروبة وفى التعبيرات التى لم يضعها شكسبير فى مواضعها تلك إلا عن ضرورة إما معنوية وإما لغوية . وقال البعض بضرورة النقل الأمين للمعانى التى رمى اليها شكسبير مع التصرف فى الالفاظ . وقال أبو شادى بضرورة النقل الامين مع المحافظة بقدر المستطاع على الالفاظ بما يقابلها فى العربية

ولا ضرورة لان نبين وجه الخطأ فى الطريقتين الاوليين . فقد جرى بعض المترجمين على انتحال أمثال عربية عزوها لشكسبير ولغيره من الكتاب فقالوا مثلا «لاناقة لى فيها ولاجمل» ـ «والصيف ضيعت اللبن» «ولابن فى الصيف تامر» الى غير ذلك . مع أن شكسبير وغيره من الكتاب مثل جوته ودانتى وملتون لم يعرفوا الناقة ولا الجمل ولا كيف تضيع الصيف اللبن ولا ماهو اللابن ولا التامر ، لان هذه الامثال منحوتة من تجاريب محلية اختصت بها طبيعة البلاد التى قيلت فيها ، فكيف تعبر بالله عليك عما قام فى رأس شكسبير ؟ وظنوا مع هذا أن شكسبير لن ينقل الى العربية إلا اذا استعملوا الامثال العربية المضروبة منذ عشرين قرنا من الزمان وكانت لها مناسبات قل ان وقعت أمثالها لشكسبير ، وحالات قل ان قامت فى انجلترا مثلا . ومع هذا يقولون انهم نقلوا شكسبير للغة العربية وهم لدى الواقع لم ينقلوا الا صورة من الأدب العربى كما تحيز فى أذهانهم مسوقة فى وقائع منتحلة من روايات شكسبير .

أما الطريقة التي اتبعها الاستاذ الدكتور ابو شادى فى ترجمة «العاصفة» فعندى انها الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها يمكن أن تؤدى معنى «الامانة» فى نقل شكسبير الى العربية

هذا اذا اردنا أن ندرك من روايات شكسبير حقائقها . أما صورها الظاهرة فمجال يتسع لكل كاتب ان يكتب فيه . ذلك لان ادراك الصورة فى الادب شيء مخالف تماماً لادراك الحقيقة . فقد استطيع مثلا ان اتناول « قوست » واقول انه رجل وهب نفسه للشيطان وجرى وراءه اشواطاً ففسق عن الآداب ، وجرى وراء اللذات اشواطاً اخرى ثم مات حزيناً . هذه صورة لم تقم يوماً فى عقلية جوته ولا رمي اليها بل ولم يعرفها . ولكنها صورة ظاهرية يمكن استخلاصها من ذلك الكتاب الخالد . اما أدراك الحقيقة من « فوست » فذلك ما لا يدعي كاتب من الكتاب أنه أدركها إدراكا تاماً .

هذا ونقول بان التعميم فى الأدب كالتعميم فى اللغة كلاهما خطر على العقول وعلى الآداب نفسها . ذلك لان الأدب الذى ينتجه اديب يجب أن يعتبر وحدة كاملة تستخلص من عصارة نفسه وذهنه . فاذا اعتبرت شكسبير وحدة كاملة لا تتجزأ كما اعتبره ابو شادى فى ترجمته السليمة التى يترجم بها العاصفة للمقتطف ، بلغت الى اقرب نقطة يمكن أن ترقب منها شكسبير عن كثب وأن ترى فيه من الأسرار ما لا يراه غيرك ، كراصد سيار يحاول أن يكون السيار فى أقرب نقط مداره من الأرض ، ليكشف منه بمنظاره ما لا يستطيع وهو فى اقصى أبعاده .

ولقد قام الاستاذ ابو شادى بأكبر خدمة للآداب العربية بان أظهر شكسبير كما هو بمعانيه وتعبيراته . وهى تعبيرات قد نراها لأول وهلة غير متسقة مع السياق والسلقية العربية القحة ، ولكنها على أيه حال تعبيرات شكسبير فى العربية كما هى فى الانجليزية . وهكذا يجب ان ينقل شكسبير . ولا يسعنا بجانب هذا الا أن نغبط المقتطف على جهوده المثمرة والتضحيات التى تضحى بها فى سبيل الأدب العصرى

اسماعيل مظهر